

الإسراء والمعراج خبر وعبر ١٥ شعبان ١٤٣٥ هـ

الحمد لله الذي رفع قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ، وأسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماوات وأراه من آيات ربه الكبرى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم القيامة الكبرى .

أما بعد : فاتقوا الله أيها المسلمون واعرفوا ما لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من قدر ومنزلة ، وما اختصه الله به من فضائل ومناقب ، وهذا شرف له ولأمته .

أيها المؤمنون : إن من أعظم الحوادث في حياة نبينا صلى الله عليه وسلم والتي تعد من مناقبه وخصائصه التي لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : حادثة الإسراء والمعراج ، حيث أسرى به إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السماء ، ورأى من آيات ربه الكبرى ، ورأى الجنة والنار ، كل ذلك في ليلة واحدة ، ولما رجع وأخبر قريشاً بما حصل له كذبوه وازدادوا في الصد عنه وعن دعوته ، لأنهم سمعوا أمراً لم يعهدوه ، فكأنوا يسافرون إلى الشام في شهر من الزمان ثم يأتي من يقول : إنه ذهب إلى هناك في ليلة واحدة ، بل يقول : إنه عرج إلى السماء !

أيها المسلمون : تعالوا نستمع هذا الخبر العظيم ، قال رسولنا صلى الله عليه وسلم (بيننا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فأتيت بطست من ذهب مليء حكمة وإيماناً ، فشقق من النحر إلى مرق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ، ثم مليء حكمة وإيماناً وأتيت بدابة أبيض دون البعل وفوق الحمار : البراق ، يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه ، فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ، فحاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل صلى الله عليه وسلم : اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء ، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ، قيل : من هذا قال : جبريل ، قيل : من معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، فأتيته على آدم ، فأعدي على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى ، فقال :

مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ ، وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرْتَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَكَ وَإِذَا نَظَرْتَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنِيِّ .

فَأْتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أُرْسِلْ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَأْتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنِيِّ .

فَأْتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّلَاثَةَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قِيلَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ مَعَكَ ؟ قِيلَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَأْتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنِيِّ .

فَأْتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ مَعَكَ ؟ قِيلَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَأْتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنِيِّ .

فَأْتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قِيلَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَأْتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنِيِّ .

فَأْتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قِيلَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ مَعَكَ ؟ قِيلَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ؟ فَأْتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنِيِّ ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى ! فَقِيلَ : مَا أَبُكَاكَ ؟ قَالَ : يَارَبِّ هَذَا الْعُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي ؟

فَأْتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قِيلَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ مَعَكَ ؟ قِيلَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ؟ فَأْتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنِيِّ ، فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ ؟ فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ ، وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْطُهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرَ وَوَرَفُهَا كَأَنَّهُ آدَانُ الْفُيُولِ

، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ، فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا الْبَاطِنَانِ
فَفِي الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ
مُوسَى ، فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً ، قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ
مِنْكَ ، عَاجَلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَاجِزَةِ ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ ،
فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ، ثُمَّ مِثْلَهُ ثُمَّ ثَلَاثِينَ ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عِشْرِينَ ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ
عَشْرًا ، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ : مِثْلَهُ فَجَعَلَهَا خَمْسًا ، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ :
جَعَلَهَا خَمْسًا ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، قُلْتُ : سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ ، فَنُودِيَ : إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَقْتُ
عَنْ عِبَادِي وَأَجْزِي الْحُسْنَ عَشْرًا) وفي رواية (قَالَ : فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ قَالَ وَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ فِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : هَكَذَا أُسْرِي ثُمَّ عُرِجَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنُكِمْلُ مَا حَدَّثَ لَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ .

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
أَمَّا بَعْدُ : فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْبَرَ فُرَيْشًا خَبَرَ مَسْرَاهُ وَمِعْرَاجِهِ فَكَذَّبُوهُ
وَعَارَضُوهُ وَطَارُوا بِذَلِكَ كُلَّ مَطِيرٍ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُرِيدُونَ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ
وَقَرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أَتُبْتَهَا ، فَكَرِهْتُ كُرْبَةً مَا
كَرِهْتُ مِثْلَهَا قَطًّا ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ
اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالَ : أَوْ قَالَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : لَيْسَ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ
صَدَقَ !

قَالُوا : أَوْ نُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِيَّيْ لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ ، أُصَدِّقُهُ بِحَبْرِ السَّمَاءِ فِي عَدْوَةٍ أَوْ رُوْحَةٍ . فَلِذَلِكَ سَمِّيَ أَبُو بَكْرٍ بِالصَّديقِ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ عِبْرٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا :

بَيَانُ فَضْلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْمَنْقَبَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَهَذَا يَزِيدُنَا مَحَبَّةً لَهُ وَتَمَسُّكَ بِسُنَّتِهِ وَاتِّبَاعَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا . وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ : أَنَّ أَفْضَلَ الْمَنَازِلِ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ طَائِعًا ، فَتَأْمَلَنَّ كَيْفَ وَصَفَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ بِصِفَةِ الْعُبُودِيَّةِ (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) وَمِنْ الْفَوَائِدِ : إِثْبَاتُ عُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ ، خِلَافًا لِمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْجُهَّالِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ، لَكِنَّهُ مَعَنَا بِعِلْمِهِ وَسَمْعِهِ وَحِفْظِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ أَنَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَا تُعْلَمُ بِعَيْنِهَا ، ثُمَّ لَا يَجُوزُ الْاِحْتِفَالُ بِمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْبِدْعِ الْمُنْكَرَةِ وَمِنَ الْمُحَدَّثَاتِ الْبَاطِلَةِ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا ، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا ، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا ، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ ... اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ صَحَابَتِهِ وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(١) رواه البخاري ومسلم ، وفيه ألفاظ انفرد بها أحدهما .